مؤسسات نظام الشركة

للقديس يوحنا كاسيان

الكتاب السابع

في روح الطمع

١٩٩٧

ترجمة

الراهب باسيليوس السرياني

مؤسسات نظام الشركة

للقديس يوحنا كاسيان

الكتاب السابع

في روح الطمع

١٩٩٧ م

ترجمة

الراهب باسيليوس السرياني

يتحدث القديس يوحنا كاسيان إلى الرهبان في نظام الشركة عن خطية "الطمع"، فقد يبيع الإنسان كل ما يملكه ويتجرد عن كل شيء، لكن تدخل هذه الخطية خلسة، بأن يقتني الراهب أقل القليل، مقدمًا التبريرات الكثيرة لذلك، فيتسلل الطمع إلى قلبه، ويُفسد كل كيانه.

يقدم لنا كاسيان أمثلة خطيرة للطمع ومحبة المال:

- بسبب الطمع فقد **جيحزي** تلميذ إليشع النبي روح النبوة، والتصق به البرص كل أيام حياته.
- ودفع الطمع **حنانيا وسفيرة** إلى الكذب على الروح القدس فسقطا ميتين.
- ودفع الطمع **يهوذا** المختار بين التلاميذ إلى خيانة سيده، ففقد التلمذة للسيد المسيح والرسولية بل وانتحر.

فالطمع يولد سلسلة من الخطايا، أما أحد وسائل علاجه فهو الاتضاع والطاعة لقوانين الدير من كل القلب.

أخيرا ما يؤكده كاسيان أن **الطمع لا يتوقف على إمكانيات**

الإنسان المادية بل على أعماقه الداخلية، فهو خطية تفسد القلب والفكر. إذ يقول: "ينبغي علينا ليس فقط أن نأخذ حذرنا من حيازة المال، بل ننتزع أيضا من نفوسنا تلهفنا عليه، إذ من واجبنا لا أن نتحاشى نتائج الطمع إنما بالأكثر أن نستأصل جذور كل نزوع إليه، إذ أن عدم امتلاكنا للمال لا يفيدنا ما دامت فينا شهوة الحصول عليه[1]. من المحتمل أن إنسانا لا يملك شيئا يكون مستعبدا لعلة الطمع، ولا تنفعه نعمة الفقر المدقع، لأنه لم يستطع أن يستأصل من نفسه جذور خطية الشراهة، متقبلا مزايا الفقر لا لحسن فضائله، وراضيا بثقل الحاجة إنما في فتور القلب. ذلك لأنه كما أن كلمة الإنجيل تعلن أن الذين لا يتدنسون بالجسد قد يزنون في القلب، وأن من المحتمل أن أولئك الذين لا يثقل كاهلهم عبء المال تلحقهم لعنة نزعة الطمع وقصده لأن ما كان يعوزهم هي "فرصة" الامتلاك وليست "إرادته"، لأن الثانية هي التي يتوجها الله دون الجبر، لهذا يلزمنا أن نستخدم كل حصانة، لئلا تتبدد ثمار جهودنا في غير ما يجدي. لأنه من المحزن أن يتحمل المرء أثار الفقر أو العوز، ولكنه يفقد ثماره، بسبب سقوط الإرادة

[1] فصل ٢١.

المزعزعة[٢]". "لقد نبذ جميع مقتنيات هذا العالم، أي إنسان استأصل تمامًا من قلبه الرغبة في حيازتها وامتلاكها[٣]".

القمص تادرس يعقوب ملطي

---

[٢] فصل ٢٢.

[٣] فصل ٢٧.

الفصل الأول

كيف أن قتالنا مع الطمع أمر غريب علينا، وأن هذه السقطة ليست فطرية في الإنسان، كغيرها من السقطات

أن ثالث معركة لنا هي التي نشنها ضد الطمـــــع، الـــذي نستطيع أن نصفه على أنه "محبة المال"، وهي معركة غريبة عنا، وخارجة عن نطاق طبيعتنا. وهي بالنسبة لأي راهب لا تتولـــد إلا عن عقل فاسد متبلد، ومحاولة مزيفة لنبذ العالم، ومحبة لله فـــاترة من أساسها، وذلك لأن باقي مغريات الخطية المغروسة في الفطرة البشرية تبدو كما لو كانت بدايتها كائنة منـــذ ولادتنـــا، وجذورهـــا عميقة في جسدنا، وتكاد أن تكون معاصرة لمولدنا. إنـــــها تـــدرك مسبقًا مدى قدراتنا على التمييز بين الخير والشر، وعلى الرغم من أنها تهاجم المرء مبكرًا جدًا، فهو يصرعها بعد جهاد طويل.

✞ ✞ ✞

الفصل الثاني

مدى خطورة مرض الطمع

لا يصيبنا هذا المرض إلا في مرحلة متأخرة، ويفد علـــى النفس البشرية من الخارج، ولذلك يسهل على المرء أن يأخذ منـــه

حذره ويقاومه. أما إن أهمل وسمح له بالولوج داخل القلب، يصير أشد خطرا ويتعذر انتزاعه جدا، إذ يصبح "أصلا لكل الشـــرور"[٤]، ومن ثم يعمل على الإكثار من مغريات الخطيئة.

✞ ✞ ✞

الفصل الثالث

ما هو جدوى تلك الرذائل الفطرية لنا

ألسنا نشاهد مثلا أن نوازع الجسد الطبيعية ليست فقط في الأولاد الذين تساعدهم بساطتهم على التمييز بين الخير والشر، بل حتى في الأطفال الصغار والرضع البعيديـــن تمامـــا عـــن شـــهوة الجنس، ولكن نوازع الجسد موجـــودة فيـــهم وعرضـــة للإثـــارة الفطرية؟

ألا نرى أيضا أن وخزات الغضب المميتة موجودة بكامل عنفوانها في الأطفال الصغار؟ وقبل أن يتعلمـــوا فضيلـــة الصـــبر والاحتمال، نجد أن المظالم تثيرهم، ويشعرون بالمهانة ولو كـــانت على سبيل الدعابة، وقد يعمدون إلى الانتقام، علـــى الرغـــم مـــن

[٤] ١ تي٦:١٠.

ضعفهم، حين يستبد بهم الغضب؟!

لست أسوق هذا كي أوجه اللوم إلى حالتهم الفطرية، إنما لكي يظهر أن بعضا من هذه النزعات التي تصدر عنا مغروسة فينا لقصد مفيد، بينما البعض الآخر قد أقحم من الخارج، بسبب الإهمال أو التراخي، وشهوة الإرادة الشريرة. **لأن هذه النزعات الجسدية التي تكلمنا عنها أنفا غرسها الخالق بعنايته الإلهية في جوفنا لغرض نافع، مثل بقاء النوع وتنشئة الأطفال، وليس لارتكاب ضروب الزنى والخلاعة، التي تقع تحت طائلة كل من الناموس والقانون. كذلك أعطيت لنا وخزات الغضب بحكمة بالغة، حتى إذا ما غضبنا على خطايانا وأخطائنا يتيسر لنا أن نمارس الفضائل والرياضات الروحية، مظهرين كل حب الله ومترفقين باخوتنا.**

كذلك نعلم أن **للحزن فائدة عظيمة**، ومع ذلك فهو يعد من الرذائل إذا استخدمناه بطريقة مضادة. فهو من ناحية، إذا جاء وفقا لمخافة الرب، أصبحنا في مسيس الحاجة إليه، ومن ناحية أخرى، إذا جاء وفقا لأباطيل العالم، أسفر عن شر مستطير، كما علمنا الرسول حين قال إن "الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة

لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشئ موتا"[٥].

✞ ✞ ✞

الفصل الرابع

في أنه باستطاعتنا أن نقول أن فينا بعض عيوب فطرية دون الإساءة إلى الخالق

إن قلنا إذا أن هذه النزعات قد غرسها الخالق فينا، فلا يعني هذا أن نوجه إليه اللوم، مادمنا قد أسأنا الاختيار بإساءة استخدامها، وانحرفنا بها لأغراض ضارة، ورحبنا بأحزان قايين المتمردة المهلكة وليس بالحزن الذي يقوم اعوجاجنا وينشئ توبة لخلاص بلا ندامة.

في حالات قليلة عندما نغضب لا نوجه الغضب لأنفسنا (استهدافا للفائدة) بل لاخوتنا، مخالفين بذلك وصية الله. وما أشبهنا في ذلك باستخدامنا للحديد الذي أحرزناه للخير وللأغراض النافعة. فقد يستخدمه شخص منحرف في قتل الأبرياء، وهذا لا يدعونا أن نلوم صانع المعدن لأن شخصا استخدم للإضرار بالآخرين ما أعد للخير ولأغراض نافعة ولعيش سعيد.

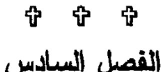
---

[٥] ٢كو٧: ١٠.

الفصل الخامس

في العيوب التي تقحم نفسها في داخلنا دون نزعات فطرية

لكننا نؤكد أن بعض العيوب تنمو بدون أن تتهيأ أية فرصة طبيعية لمولدها، إنما ببساطة تتم عن طريق الاختيار الحر لإرادة فاسدة شريرة، كالحسد، وبالذات خطية الطمع هذه. هاتان الخطيتان تفدان إلى القلب من الخارج، لعدم وجود أصل لهما في الغرائز الفطرية. ويتيسر للمرء أن يأخذ حذره منهما وأن يتجنبهما نسبيا. إنهما يفسدان العقل الذي يتسلطان عليه ويستبدان به، ومن ثمة يتعذر تهيئة الأدوية لشفائه منهما، إما لأن أولئك الذين جرحوا من أشخاص كان يمكن تجاهلهم أو تجنبهم فلا يستحقون الشفاء بعلاج سريع، أو لأنهم أساءوا وضع الأسس، فصاروا غير أهل لإقامة صرح من الفضيلة، أو لبلوغ قمة الكمال.

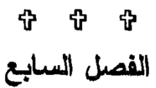


الفصل السادس

في تعذر استئصال آفة الطمع ما دامت دخلت القلب

لماذا لا تجعل هذه الآفة تصير كما لو كانت بلا وزن، أو تصير قليلة الأهمية، بالنسبة لأي إنسان؟ ذلك لأنه ما دام من السهل

تحاشيها، فإنها بمجرد تسلطها عليه قلما تسمح له بتهيئة الأدوية لشفائه منها. فهي وكر دائم للخطايا، وهي "أصل لكل الشرور، وهي بالغة الإلحاح في إغوائها على الشر، كقول الرسول عن "الطمع"... أو بتعبير آخر محبة المال... "أصل لكل الشرور"[٦].



الفصل السابع

في المصدر الذي ينبعث منه الطمع، والشرور التي تتولد منه

عندما تستولي هذه الرذيلة على نفس فاترة خاملة لأحد الرهبان، تبدأ تجربه في مبلغ صغير من المال، مقدمة له أعذارا رائعة يكاد العقل أن يقبلها، لتبرير احتفاظه لنفسه ببعض المال. فيشكو بأن ما يُمده به الدير غير كاف، وبالكاد يمكن أن يسد حاجيات جسم سليم قوي... ماذا يفعل إذا اعتلت صحته، وليس لديه مدخرات خاصة لإعالته في حالة ضعفه؟... ويقول إن مرتبه من الدير ضئيل طفيف وأن المرضى بالدير لا يعتني بهم على الإطلاق، وأنه ما لم يقتن لنفسه شيئا، حتى يتيسر له الاهتمام

---

[٦] ١تي ٦:١٠.

ـحسده، فهو هالك لا محالة! والثوب الذي يصرف له لا يكفي، اللهم إلا إذا كان قد أحرز شيئا يحصل به على ثوب آخـــر... وأخـــيرا يقول إنه من المحتمل ألا يستطيع البقاء طويلا في نفس المكـــان أو الدير، وأنه ما لم يكن قد ادخر المال لرحلته وتكاليف انتقاله عـــبر البحر، فإنه لن يستطيع الانتقال حيث يشاء. وما دامـــت ســتعطله الحاجة القاهرة عن هذا الانتقال، فســتخيم علــى حياتــه التعاســة والملل، ويعجز عن إحراز أدنى تقدم، لشعوره بأنه لــن يســتطيع، دون إهدار لكرامته، أن يستمد العون من الآخرين، كما لـــو كــان متسولا أو من المعوزين. وهكذا بعد أن يخدع نفســـه بمثــل هــذه الأفكار، يجهد ذهنه كي يهتدي إلى وسيلة يستطيع بها أن يحصـــل ولو على قرش واحد، ثم يبحث في تلهف عن أي عمل مربح يقوم به دون أن يعلم رئيس الدير، ويبيع سرا ما ينتجه. بذلــك يحصــل على قطعة النقد التي اشتهاها، والتي بعد حصوله عليـــها لا يفتــأ يعذب نفسه، ويبالغ في تعذيبها، في سبيل مضاعفة مدخراته، وفـــي التفكير في المكان الذي يودعها فيه أو الشخص الذي يأتمنه عليها. بعد ذلك تؤرقه مشاغل أثقل تتعلق بما يحسن أن يشتريه بمدخراته، أو بالطريقة التي يستثمرها بها حتى يضاعفها، فإذا ما تحقــق كــل

شيء وفق ما يهوى ازدادت لهفته لاكتناز الذهب. وكلما زاد رصيده منه، ازدادت لهفته وانفعالاته، إذ أنه بزيادة الثروة يتفاقم جنون الطمع وحب المال، بعد ذلك تساوره أفكار مزعجة يتوقع معها أن يطول عمره، ويضعف بدنه كلما تقدم به السن، وتحل به الأمراض بكافة صنوفها، وبطول عهده بها حتى يعجز عن تحملها في شيخوخته ما لم يكن قد استعد لذلك بادخاره لمبلغ كبير في شبابه. وهكذا تتزعزع هذه النفس الشقية، ويلتف حولها تنين الطمع، فلا تستطيع فكاكا، بينما تحاول جاهدة لمضاعفة كومة المال التي أحرزتها بطرق غير مشروعة واهتمام ممقوت، تصحبه كوارث لا تخفف من حدة طمع هذه النفس بل تزيده اشتعالا، ويعميها عن كل شيء سوى الجري وراء الكسب والحصول على المال، والفرار من الإذعان لأنظمة الدير بأسرع وقت ممكن، والتجرد من الإيمان، كلما وجد بصيصا من الأمل في إحراز المال. ولهذا فهو لن يتورع عن أن يرتكب جريمة الكذب، أو شهادة الزور، أو السرقة، أو كسر الوعد، أو الاسترسال مع نوبات الهياج الجارحة. أيضا إذا فقد الأمل في الحصول على الكسب، فإنه لن يتورع عن أن يتجاوز حدود اللياقة والتواضع، وفي كل هذا يصبح الذهب ومحبة الربح

القبيح إلها له، شأنه في ذلك شأن الذين يعبدون بطونهم، ولهذا فإن الرسول المطوب، إذ نظر إلى سم هذه الآفة المميت لم يقل فقط أنه أصل لكل الشرور، ولكن سماه أيضا "عبـــادة الأوثـــان"، قـــائلا : "والطمع الذي هو عبادة الأوثان"[٧]. فأنت ترى إذن قـــدر الســقوط الذي يقود إليه هذا الجنون خطوة خطوة، حتى أن الرسول ليطلـــق الصيحة مدوية **بأنه عبادة للأوثان المزيفة**، ذلـــك لأنـــه بتخطيـــه صورة الله ومثاله (وهما اللذان يجب أن يحتفظ بهما كل من يعبـــد الله بالروح والحق في أعماق نفسه دون تزييف) قد آثر أن يحـــب ويتعلق بالصور المنقوشة على الذهب بدلا من الله.

✞ ✞ ✞

الفصل الثامن

كيف أن الطمع يعزقل جميع الفضائل

بمثل هذه الخطوات الكبيرة، منحدرا إلى أسفل، ينساق من سيء إلى أسوأ، وأخيرا لا يهتم بأن يحتفـــظ لنفســـه، لا بفضـــائل التواضع والمحبة والطاعة بل ولا بظلها، إلى جانب أنه يصبح غير راض عن أي شيء، ويتذمر ويشكو من كل عمـــل. عندئـــذ وقـــد

---

[٧] كو ٣:٥ .

ضرب بكل خشوع عرض الحائط فإنه، كحصان جـــامح، يندفـع متهورا مطلق العنان، متأففا من طعامه اليومي ولباســـه المعتـاد، معلنا أنه قد ضرب بهما ذرعا، وأن الله ليس في الدير فقــط، وأن خلاصه غير قاصر على ذلك المكان الذي لم يعد بدا مــــن تركـه سريعا جدا، وإلا حل الوقت الذي ينوح فيه على نفسه لأنها هالكــة لا محالة.



الفصل التاسع

كيف أن الراهب الذي يحرز المال لا يستطيع البقاء في الدير

هكذا حين يقتنى المال الذي يهيئ له التجوال، متوهما أنه قد نبتت له أجنحة تساعده على التحليق، يصبح على تمـام الأهبـة للانتقال، ومن ثم يجيب على جميع الأوامر بطريقة جافة بعيدة عن الموضوع، ويسلك كما لو كان غريبا أو زائرا، ويتصرف إزاء كل ما يجده في حاجة إلى الإصلاح باستصغار واحتقار. وعلى الرغم من وجود مدخراته التي يحتفظ بها سرا في مكان خفي، فإنه يشكو حاجته إلى حذاء وثياب، ويغضب لأنها تعطى له بعد عناء ووقـت

طويل. وإذا حدث أن أعطيت، بأمر مـــن الرئيـــس، بعـــض هـــذه الحاجات لمن هو في مسيس الحاجة إليها قبله، اشتعلت فيه نـــيران الغضب، معتقدا أنه قد عومل باحتقار كأنه غريـــب. كمـــا أنـــه لا يرضى أن يمد يده لأي عمل، بل يتلمس الأخطاء في كـــل شـــيء تستدعي الضرورة أن يتم إنجازه في الدير. وأيضا يتلمـــس، بنـــاء على هدف مقصود، فرصا للغضب على أنه أهين، لئلا يبدو أنه قد خرج على نظام الدير لسبب تافه، وإذ لا يقتنـــع بمفارقتـــه للديـــر وحيدا، حتى لا يظن أنه قد خرج لخطأ ارتكبه، فإنه لا يكف عـــن تحريض وإفساد أكبر عدد ممكن مـــن زملائـــه بمـــداولات فـــي الخفاء... أما إذا عطلت رداءة الطقس رحلته وأسفاره، فأنه يظـــل طوال الوقت قلقا مشغول البال، ولا يتوقف لحظة عن بذر الشقـــاق وإثارة التبرم والتذمر، متوهما أنه لن يجد السلوان عن عدم رحيله، والعذر عن تقلبه، ألا بأن يسند للدير النقص وسوء التدبير.



الفصل العاشر

في الأوجاع والتجارب التي يتعرض لها ناكث عهد الدير بسبب الطمع،
مع أنه أعتاد من قبل على التذمر لأتفه الأسباب

هكذا ينساق الراهب ويزداد تعلقه الجامح بالمال، الذي لن يدعه قط، بعد اقتنائه، راضيا بالبقاء في الدير أو بالمعيشة في ظل أي نظام أو تحت سلطان. وحين يفصله، كحيوان وحشي، عن باقي القطيع، يتحول، لحاجته إلى أصحابه إلى حيوان صالح للافتراس، بل وبسهولة. ولحرمانه من زملاء مقيمين، يضطر، وهو الذي كان يترفع عن القيام بأخف مهام الدير، للكدح ليلا ونهارا دون توقف، سعيا وراء الكسب. هذا من شأنه أن يجعله عاجزا عن الحفاظ على طقوس العبادة، أو نظام الصوم، أو قواعد السهر، بل ويباعد بينه وبين قواعد الشفاعة اللائقة مادام في استطاعته تلبية نداء جنون الجشع، وسد حاجاته اليومية. هذا يزيد نار الطمع اشتعالا، في حين أنه يتوهم أنه يخمدها عن طريق الاقتناء.



الفصل الحادي عشر

في الزعم بأنه للمحافظة على المال وتدبيره لابد من البحث عن النساء للإقامة معهن

ينساق كثيرون إلى الموت عن طريق منحدر وعر بسقطة لا قيامة منها. وإذ لا يكتفون بأن يمتلكوا المال الذي لم يسبق لهم قط أن يحصلوا عليه، أو أنهم يحتجزوه ببداية رديئة، لكنهم يبحثون عن النساء ليقمن معهم، للمحافظة على ما جمعوه أو احتجزوه عن طريق غير مشروع، ويورطون أنفسهم في كثير من الأمور الخطرة الضارة، الأمر الذي يهوي بهم إلى أعماق الجحيم، بينما هم يرفضون الامتثال لقول الرسول: "إن كان لهم قوت وكسوة فليكتفوا بهما"، وهما ما كان يمدهم بهما الدير في حدود طاقته، ولكن لرغبتهم أن يكونوا أغنياء، يسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس في العطب والهلاك، لأن محبة المال - بتعبير آخر "الطمع" - أصل لكل الشرور "الذي إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة"[٨].



---

[٨] ١تي ٦:٨-١٠.

الفصل الثاني عشر

مثال لراهب فاتر سقط في شباك الطمع

أعرف شخصا يظن في نفسه أنه راهب، والأسوأ من ذلك أنه يطري نفسه بالكمال، كان قد قبل في دير. وحين وعظه رئيس الدير كي لا يعود بأفكاره صوب تلك الأشياء التي تخلى عنها ونبذها، بل يحرر نفسه من الطمع، أو محبة المال، التي هي أصل لكل الشرور، ومن الشراك الأرضية، وأنه إذا أراد أن يتطهر من نزعاته السالفة، التي وجد أنها كانت ترهقه وتكد نفسه من حين إلى آخر، فعليه أن يكف عن الاهتمام بتلك الأشياء، التي لم تكن ملكا له حتى من قبل، ولكنه إذ كان ما يزال مقيدا بالأغلال التي لم يستطيع قطعا تحطيمها لعجزه عن أن يحرز أي نجاح لتطهير نفسه من سقطاته، لم يتردد عن الرد وهو ساخط قائلا: "إذا كنت أنت قد اقتنيت ما تستطيع أن تعول به الآخرين، فلماذا تحرم علي أن أقتنيه مثلك؟"



الفصل الثالث عشر

ماذا يروي الشيوخ للأحداث عن موضوع الخطايا العادية

لكن لا تدع هذا يبدو أمرا سطحيا أو موضـــع اعــتراض لدى شخص آخر. ذلك لأنه ما لـــم تكشـــف أولا مختلــف أنــواع الخطايا، وتستقصي أصول وأسباب الأمـــراض، فإنـــه لا يتيســر وصف الأدوية الشافية الصحيحة للمرضـــى، ولا يتيســر أيضـــا للأصحاء أن يحافظوا على كمال سلامتهم. لأن كلا هذين الأمرين، وأمور أخرى كثيرة تقدم بوجه عام لإرشاد الاخوة الأحـــداث مـــن الشيوخ في مؤتمراتهم، لما أحرزوه من خبرة في سقطات لا حصر لها، وفيما أصاب جميع صفوف الناس من دمار.

غالبا ما كنا نفطن إلى الكثير من هذه الأمور في أنفســنا، هذه التي يظهرها الشيوخ ويوضحونها لنا، كرجال عانوا هم أنفسهم من نفس النزعات. كنا نعالج ونبرأ دون خجل أو ارتباك من جانبنا، ذلك لأننا دون أن نصرح بأي شيء كنا نتعلم ضـــروب العــلاج، ونقف على أسباب الخطايا التي كانت ترهقنا، والتي أغفلناها ولـــم نقل عنها شيئا، لا خوفا من الاخوة، إنما خشية أن يقع هذا الكتـــاب في أيدي بعض ممن يعوزهم الإرشاد في هذا السبيل مـــن الحيـــاة.

وقد يصرحون لغير المختبرين أنه ينبغي ألا يعلمه ســـوى أولئـك الذين يجاهدون ويسعون للوصول إلى أعلى مراتب الكمال.

✞ ✞ ✞

الفصل الرابع عشر

أمثلة تبين أن مرض الطمع مثلث المعالم

هذا المرض أو الحالة غير الصحية مثلثة المعـــالم، وقـد نعته جميع الآباء بقدر مساو من اللعنة والمقت.

لقد وصفنا فيما سبق الصورة الفاسدة لأحد هذه المعـــالم، وهي التي تخدع القطيع البائس **وتحرضهم علـــى الادخـــار**، علـى الرغم من أنهم كانوا لا يمتلكون شيئا حين كانوا في العالم.

والأخرى هي أن تدفعهم إلى **اشتهاء وامتلاك تلك الأشياء التي تخلوا عنها في الأيام الأولى من تنسكهم وتركهم للعالم.**

والصورة الثالثة تتم مع بدايـــة ضـــارة خاطئـــة. اتســم أصحابها **بفتور الذهن وتذبذب الرأي، ولذلـــك لـــم يســتطيعوا أن ينبذوا جميع ممتلكاتهم الأرضية، خوفا من الفقر ولعدم إيمانـــهم،** وهؤلاء الذين يحتجزون الأموال والأملاك، التي كـــان ينبغـــي أن

يتخلوا عنها ويهجروها، ولا يمكن ان يبلغوا قط كمال الإنجيل.

وأننا لنجد في الأسفار المقدسة أمثلة لهذه الكوارث الثلاث، التي تقع عليها عقوبة غير هينة، فعندما أراد **جيحزي** – خادم اليشع النبي – أن يقتني ما لم يمتلك مثله قط من قبل، لم يفشل فقط في الحصول على عطية النبوة، التي كان من حقه أن يتسلمها من معلمه بالخلافة الوراثية، لكنه على العكس أصابته لعنة اليشع النبي ببرص دائم.

أما **يهوذا** فإذ أراد أن يسترد امتلاكه للثروة التي سبق أن ألقي بها حين تبع المسيح، لم يسقط فقط في جريمة خيانة سيده، ويفقد رتبته الرسولية، لكنه أيضا لم يتح له أن يختتم حياته بصورة عادية، بل أنهاها بميتة عنيفة.

أما **حنانيا وسفيرة** إذ احتجزا جزء مما كان ملكهما من قبل، عوقبا بالموت وفقا لكلمة الرسول.



الفصل الخامس عشر

في الفرق بين إنسان ينبذ العالم بطريقه رديئة
وآخر لا ينبذه على الإطلاق

إن ثمة اتهاما موجها بطريقة خفية، في سفر التثنية، إلـــى أولئك الذين يقولون انهم قد نبذوا هذا العالم، وبعد ذلــك ينـــهزمون بنقص الإيمان، إذ يخشون ضياع ممتلكاتهم الأرضية، ونصه كمـــا يلي: "من هو الرجل الخائف والضعيف القلب، ليذهب ويرجع إلـــى بيته، لئلا تذوب قلوب اخوته مثل قلبه"[٩]... أية شهادة يحتاج إليـــها المرء أكثر وضوحا من هذه؟... أليس مـــن الواضـــح أن الكتـــاب المقدس يؤثر ألا يقدموا على هذا العهد، حتى في أول مراحلـــه، أو أن يحملوا اسمه، لئلا يصبحوا قدوة سيئة تغـــري غـــيرهم علـــى الانحراف عن كمال الإنجيل المقدس، ويضعفوهم بفزعـــهم الـــذي يعوزه الإيمان.

لهذا فالأمر موجه إليهم في صراحة بالانسحاب من القتال والعودة إلى منازلهم، لأنه ما من أحد يستطيع أن يشترك في معركة الرب وله رأيان، ذلك لأن "رجل ذو رأيين هو متقلقل فـــي جميـــع

---

[٩] تث ٢٠:٨.

طرقة"[10]. يلزم التفكير في المثل الذي ورد في الإنجيل[11] عن ذاك الذي يذهب بعشرة آلاف رجل ضد ملك يأتي بعشرين ألفا، قد لا يستطيع مقاتلته، عليه مادام الملك بعيدا أن يسأل ما هو للصالح. بمعنى انه من الأفضل له ألا يأخذوا حتى الخطوة الأولى في طريق ترك العالم، أفضل من أن يورطوا أنفسهم في أخطار أشد، بعد خروجهم إلى هذا الطريق متراخين غير متحمسين، لأنه "لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفي"[12]. أدق نص هو الذي يصف من يأتي بعشرة آلاف لملاقاة آخر بعشرين ألفا، لأن عدد الخطايا التي تهاجمنا أكثر من الفضائل التي تقاتل عنا. والواقع انه "لا يستطيع إنسان أن يخدم الله والمال"[13]، وكذلك "ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله"[14].



---

[10] يع ١:٨.

[11] لو ١٤:٣٠، ٣١.

[12] جا ٥:٤ .

[13] مت ٦:٢٤.

[14] لو ٩:٦٢.

الفصل السادس عشر

في السلطة التي تحمي تحتها أولئك الذين يعترضون على التخلي عن ممتلكاتهم

هؤلاء إذن يحاولون أن يفتعلوا قضية لجشعهم الأصيـــل، مستخدمين بعض نصوص الكتاب المقدس، التي يفسرونها ببراعـــة خبيثة. ولتحقيق رغباتهم الخاصة أن يطوعوا ويحرفوا قولا للرسول أو آخر للرب نفسه، ولا يشكلون حياتهم وفهمهم للكتاب المقدس بل يجعلون معنى الكتاب يتشكل حسب رغبـــات شهواتـــهم، وموافقـــا لوجهة نظرهم. يقولون بأنه مكتوب: "مغبوط هو العطاء أكثر مـــن الأخذ"[١٥]، وبتفسير بالغ الخطأ لهذا النص يظنون أن في مقدورهـــم أن يضعفوا من قوة قول الرب: "إن أردت أن تكون كاملا فـــاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كـــنز فـــي الســـماء وتعـــال اتبعني"[١٦]. يظنون أنهم تحت هذا الظل لا يحتـــاجون أن يحرمـــوا أنفسهم من غناهم؛ مصرحين بأنهم سيكونوا أكثر غبطة دون شك، إذ يعطون من فضلاتهم، مما هو أصلا ملك لهم، متعالين علـــى أن

---

[١٥] اع٢٠:٣٥.

[١٦] مت١٩:٢٠.

٢كو١١:٢٧.

يقتنوا عملا يدويا، وأن يتناولوا طعام الدير المتواضع. مثل هـؤلاء يجب ان يعلموا أنهم يخدعون أنفسهم. إنهم لم ينبذوا العـالم حقـا، ماداموا لا يزالون متعلقين بغناهم. أما إذا كانوا يريدون حقا وصدقا أن يقوموا بممارسة الحياة الرهبانية، فعليهم أن يتخلـوا ويـهجروا جميع هذه الأشياء ولا يحتجزوا لأنفسـهم أي شـيء ممـا نبـذوه فيتمجدون مع الرسول "في جوع وعطش وفي برد وعرى"[١٧].

✞ ✞ ✞

الفصل السابع عشر

في ترك الرسل والكنيسة الاولى لأباطيل العالم

يبدو ذاك (الذي بتأكيده أنه حاصل على امتيازات مواطن روماني منذ مولده، يشهد بأنه لم يكن شخصا وضيعا وفقا لأوضاع هذا العالم) أنه لم يكن قادرا على أن يتزود من الأملاك التي كانت له من قبل!... وكان أولئك الذين كانوا ملاكا لأراض وبيوت فـي أورشليم وباعوا كل شيء دون أن يستبقوا لأنفسـهم شيئـا علـى الإطلاق، واحضروا الثمن ووضعوه عند أقدام الرسـل لـم يكـن بمقدورهم أن يسدوا مطالب أجسادهم من أملاكهم!...

---

[١٧] ٢ كو١١:٢٧.

لكن الواقع أن الرسل اعتبروا أن هذه هي الخطة المثلى للحياة وآثروها على كل شيء عداها، وقد تخلوا عن جميع ممتلكاتهم في الحال، وآثروا أن يعولوا أنفسهم من ثمار عملهم، ومن إعانات الأمميين، الذين تكلم الرسول القديس عن جمعهم لها، في رسالته إلى أهل رومية، مفصحا لهم عن موقفه من هذا الأمر. فقد حثهم على القيام بهذا الجمع، قائلا: "ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين، لأن أهل مقدونية واخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعا لفقراء القديسين الذين في أورشليم، استحسنوا ذلك وأنهم مدينون لهم لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا (مع مؤمني أورشليم) في روحياتهم، فيجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات"[١٨].

وهو يبدي نفس الاهتمام مع أهل كورنثوس، ويحثهم بأكثر اجتهاد كي يعدوا قبل وصوله ما يجمعونه وهو ما كان ينوى إرساله لسد حاجاتهم قائلا: "أما من جهة الجمع لأجل القديسين فكما أوصيت كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضا، في كل أول أسبوع يفصح كل واحد منكم عنده خازنا ما تيسر حتى إذا جئت لا يكون

[١٨] رو ١٥:٢٥-٢٧.

جمع حينئذ، ومتى حضرت فالذين تستحسنونهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسانكم إلى أورشليم"[19]. ولكي يشجعهم على زيادة الجمع يضيف قائلا: "وإن كان يستحق أن أذهب أنا أيضا فسيذهبون معي"، يقصد القول بأنه مستعد للاشتراك في حمل تقدمتهم والسفر بها مع الوفد المرافق إذا كانت من الوفرة بحيث تستدعي ذلك.

وكذلك يشهد للغلاطيين بأنه عندما راح يقتسم خدمة الكرازة مع الرسل، رتب الأمر مع يعقوب وبطرس ويوحنا على أن يقوم بالكرازة بين الأمم، ولكن ينبغي ألا يغفل العناية بالفقراء بأورشليم وتدبير أمورهم، أولئك الذين تخلوا عن جميع ممتلكاتهم واختاروا الفقر الاختياري من أجل المسيح. وقد قال في رسالته إلى أهل غلاطية بهذا الصدد: "فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون انهم أعمدة أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم، وأما هم فللختان، غير أن نذكر الفقراء، وهذا أيضا كنت اعتنيت أن أفعله"[20]...

من هم إذن أكثر استحقاقا للنعمة، أولئك الذين لم يجمعوا

---

[19] ١ كو١٦:١-٤.

[20] غل٩:٢-١٠

من بين الوثنيين إلا متأخرا ولعجزهم عن الارتقاء إلى مراتب كمال الإنجيل، فتشبثوا بممتلكاتهم واكتفي الرسول بنهيـــهم عــن عبــادة الأوثان والامتناع عن الزنى والدم والمخنوق[٢١] واعتنقـــوا الإيمـــان بالمسيح مع احتفاظهم بكافة ممتلكاتهم، أم أولئك الذين يعيشون وفقا لوصايا الإنجيل، ويحملون صليب الرب كل يوم، ولا يريـــدون أن يستبقوا أيضا شيء من ممتلكاتهم لنفعهم الخاص؟...

إذا كان الرسول الطوباوي مقيدا بالسلاسل والأصفــاد، أو عاقته مشاق السفر، ولهذه الأسباب لم يتيسر لـــه أن يعــول نفســه بيديه، كما كان يصنع دائما، فصرح أنه تسلم ما يسد احتياجاته من الاخوة الذين قدموا من مقدونية. قائلا: "لأن احتياجي سده الاخـــوة الذين قدموا من مقدونية"[٢٢]. كما يقول لأهل فيلبي: "وأنتـــم أيضـــا تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مقدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم، فإنكم في تسالونيكي أيضا أرسلتم إلي مرة ومرتيـــن لحـــاجتي"[٢٣].

---

[٢١] أع١٥: ٢٠

[٢٢] ٢كو١١: ٩.

[٢٣] في٤: ١٥-١٦.

(وما دام الأمر كذلك) فإذن وفقا لفكره هؤلاء الرجال، التي كونوها في برودة قلوبهم يصبح أولئك القوم أكثر اســـتحقاقا للنعمـــة مـــن الرسول العظيم، لأنه قد اتضح أنهم خدموه بمالهم! ما مـــــن أحـــد يتجاسر على هذا القول ولو كان مفرطا في حماقته!

✞ ✞ ✞

الفصل الثامن عشر

في أننا لو رغبنا في أن نحاكي الرسل
ينبغي علينا ألا نحيا وفقا لمواهبنا الخاصة بل نحذو حذوهم

لو أردنا أن نطيع وصايا الإنجيل، وأن نظـــــهر أنفســـنا كأتباع للرسول والكنيسة الأولى بأكملها، أو للآباء الذين في أيامنــــا وصلوا إلى فضائلهم وكمالهم علينا ألا نستسلم لتصوراتنا، واعدين أنفسنا بالكمال من هذه الحالة الفاترة الشقية التي لنا، بل إذ نقتفـــي آثارهم، ينبغي علينا ألا نستهدف الاهتمام بفكرنا بأيـــة حـــال مـــن الأحوال، إنما نتمسك بأنظمة الدير وأوامره، كي يتيسر لنا حقا نبـــذ أباطيل هذا العالم، غير محتفظين بأي شيء من تلك الأشياء التـــي احتقرناها، غير مستسلمين في ذلك لتجربة نقص الإيمان، بل نسعى في الحصول على طعامنا اليومي، لا من مالنا المكتنز، بل من كـــد أيدينا.

الفصل التاسع عشر

قول القديس الأسقف باسيليوس موجه ضد سنكليتوس

يوجد قول مأثور ورد على لسان القديس باسيليوس أسقف قيصارية ضد شخص يدعى سنكليتوس، كان آخذا في عدم المبالاة مع ضرب من الفتور، الذي تكلمنا عنه. على الرغم من تأكيده أنه نبذ أباطيل هذا العالم فقد استبقى لنفسه بعض ممتلكاته، غير راغب في أن يعول نفسه من عمل يديه، وأن يحوز التواضـــع الحقيقـــي بتجرده وجهاده الشاق وخضوعه للدير. ومن ثمة قال له القديـــس: "لقد فسدت يا سنكليتوس، ولم تصبح راهبا.



الفصل العشرون

مدى حقارة من يغلبه الطمع

لو أردنا أن نجاهد بطريقة قانونية في صراعنا الروحي، . علينا أن نطرد أيضا هذا العدو الخطـــر مـــن قلوبنـــا، ذلـــك لأن انتصارنا عليه ليس فيه من الفضيلة قدر ما في انتصاره علينا مـــن عار ومهانة. لأنه إذا انتصر عليك شخص قوي فإنه على الرغـــم

مما تسفر عن الهزيمة من أسى، وما يسببه ضياع النصرة من ألم، فثمة بعض عزاء قد تجده في شعورك بأن من غلبك قوي. أما إذا كان العدو هزيلا، والصراع تافها ضئيلا، فبجانب الأسى الذي تخلقه الهزيمة، فهناك خزي أشد مهانة، وعار أسوأ من الخسارة.



الفصل الحادي والعشرون

كيف يمكن قهر الطمع

تتم أعظم نصرة وأخلد ظفر إذا لم يتدنس ضمير الراهب، كما يقال، بامتلاك أصغر قطعة نقد. ذلك لأن من تقهره أقل ملكية يسمح لجذور شهوة شريرة أن تخترق قلبه. ويستحيل على مثل هذا الشخص ألا يشتعل بعد ذلك بنيران شهوة أشد. فجندي المسيح ينتصر وينعم بالأمن والطمأنينة، والتحرر من كل هجمات الاشتهاء، ما دامت هذه الروح الممعنة في الشر لا تغرس في قلبه بذرة هذه الشهوة. هكذا بينما نحن مطالبون عادة في كل الخطايا، أن نراقب رأس التنين[٢٤]، فكل ما يلزمنا فعله في هذه الخطية هو أن نكون

---

[٢٤] تك٣:١٥.

أكثر حذرا وأشد حيطة، لأننا إذا قبلناها نمت إذ تغذي نفسها، وتوقد لذاتها نارا أشد خطرا. من ثمة ينبغي علينا ليس فقــط أن نــأخذ حذرنا من حيازة المال، بل ننتزع أيضا من نفوسنا تلهفنا عليه، إذ من واجبنا لا أن نتحاشى نتائج الطمع إنما بــالأكثر أن نســتأصل جذور كل نزوع إليه، إذ أن عدم امتلاكنا للمال لا يفيدنا ما دامــت فينا شهوة الحصول عليه.

✞ ✞ ✞

الفصل الثاني والعشرون

في أنه قد يوصم بالطمع من لا مال عنده

من المحتمل أن إنسانا لا يملك شيئا يكون مستعبدا لعلــة الطمع، ولا تنفعه نعمة الفقر المدقع، لأنه لم يستطع أن يســتأصل من نفسه جذور خطية الشراهة، متقبلا مزايــا الفقــر لا لحســن فضائله، وراضيا بثقل الحاجة إنما في فتور القلب. ذلك لأنه كمــا أن كلمة الإنجيل تعلن أن الذين لا يتدنسون بالجسد قد يزنون فــي القلب، وأن من المحتمل أن أولئك الذين لا يثقل كاهلهم عبء المال تلحقهم لعنة نزعة الطمع وقصده لأن ما كان يعوزهم هي "فرصة" الامتلاك وليست "إرادته"، لأن الثانية هي التي يتوجــها اللــه دون

الجبر، لهذا يلزمنا أن نستخدم كل حصانة، لئلا تتبدد ثمار جـــهودنا في غير ما يجدي. لأنه من المحزن أن يتحمل المرء أثار الفقر أو العوز، ولكنه يفقد ثماره، بسبب سقوط الإرادة المزعزعة.

✟ ✟ ✟

الفصل الثالث والعشرون

مثل مأخوذ من حالة يهوذا

أتريد أن تعلم مدى خطورة هذه الغواية وأضرارها، ما لم تقتلع بحذر، على صاحبها والدمار الذي تلحقه به، وما يتشعب منها من فروع شتى الخطايا؟ انظر إلى يهوذا، المعدود من بين التلاميذ، وتأمل كيف بسبب إقدامه على سحق رأس هذا التنين القاتل، قضي عليه بسمه، وكيف أنه لما وقع في شباك هذه الشهوة ألقت به فـــي الخطية وفي سقطة عاجلة، حتى أنها أغوته على بيع فادي الأنــام، ومنشئ خلاص الإنسان بثلاثين من الفضة، وأنـــه لــم يكــن مــن المستطاع دفعه إلى هذه الخطية المنكرة، خطية خيانة سيده، ما لـــم يكن قد لطخته خطية الطمع. كذلك ما كان لينساق إلى الإجرام في حق سيده بهذه الصورة البشعة، ما لم يكن قد عـــود نفســه علــى السرقة من الكيس المودع لديه.

الفصل الرابع والعشرون

في أنه لا يمكن قهر الطمع إلا إذا جرد المرء نفسه من كل شيء

هذا مثل واضح فظيع لهذا الطغيان الذي إذا وقع العقل في أسره خرج عن كل قواعد الأمانة، ولا يقنع بأي مزيد من الأرباح. ذلك لأنه لزام علينا أن نحسم هذا الجنون، ليس بالثراء إنما بتجريد أنفسنا منه. أخيرا فإن يهوذا عندما تسلم الكيس المخصص للتوزيع على الفقراء، والمودع في ذمته لهذا الغرض، كي يتيسر له على الأقل أن يرضي نفسه بالمال "الكثير، ويضع حدا لجشعه، دفعه هذا الكثير الذي تحت يده إلى مزيد من الطمع والجشع، حتى أنه لم يعد يقتصر على السرقة سرا من الكيس، بل باع سيده بالفعل، لأن جنون هذا الجشع لا يقنع بأي قدر من الثراء.

✞ ✞ ✞

الفصل الخامس والعشرون

في الميتات التي حلت بحنانيا وسفيرة ويهوذا بسبب شهوة الطمع

وأخيرا فإن العظيم في الرسل، إذ تعلم من هذه الأمثلة، ولعلمه أن المصاب بأي قدر من الطمع لا يستطيع كبح جماحه،

وأنه غير ميسور وضع حد له بمبلغ مـن المـال كبـيرا كـان أو صغيرا، إنما بفضيلة نبذ كل شيء، عاقب حنانيا وسفيرة بـالموت، لأنهما استبقيا جزء من ثمنه لملكهما، حتى أن الموت الـذي لاقـاه يهوذا طائعا لارتكابه خطية خيانة سيده، لابد أن يلحقهما لوقوعهما في خطية الكذب بسبب طمعهما، فما أقوى الصلـة القائمـة بيـن الخطية والعقوبة في كل من الحالين! وهكذا كانت نتيجة الطمع في الحالة الأولى هي الخيانة، وفي الحالة الثانية الكذب؛ فـي الحالـة الأولى أهدر الحق وتمت خيانة، وفي الحالة الثانية ارتكبت خطيـة الكذب، فمع أن نتائج أعمالهما قد تبدو مختلفة، إلا أنهما يتفقان في وحدة الهدف وتماثله. فواحد إذ أراد الفرار من الفقر رغب فـي أن يسترد ما سبق أن تخلى عنه، بينما الآخران إذ خشيـا أن يصبحـا فقيرين حاولا استبقاء جزء من ثمن ملكهما الذي باعاه، والذي كان من واجبهما إما أن يسلماه للرسول في إيمان ثابت ونية صافية، أو أن يهباه للاخوة بأكمله. هكذا في كل من الحالين جـاءت عقوبـة الموت في الأعقاب، لأن كل خطية منهما نبتت من جذور الطمـع. وإذا كانت مثل هذه العقوبة الشديدة قد وقعت علي أولئك الذين لـم يطمعوا في ممتلكات الآخرين إنما الذين حاولوا فقط الحرص على

ما يملكون، والذين لم يستهدفوا الحيازة والاقتناء بل مجرد الاحتجاز والاستبقاء، فماذا نظن في مصير أولئك الذين يرغبون في جمع الثروة واكتنازها، دون أن يكون لهم فيها درهم أو دينار، والذين يتظاهرون بالفقر أمام الناس، ولكنهم أمام الله مدانون بالغنى الزائف بسبب شهوة الطمع؟



الفصل السادس والعشرون

في أن الطمع يصيب النفس ببرص روحي

والذين يتراءون مجزومين في الروح والقلب، مثل جيحزي الذي إذ اشتهى غنى هذا العالم غير اليقيني، دهمه مرض البرص البغيض، وبهذا ترك لنا مثلا واضحا في أن كل نفس مدنسة بوصمة الشراهة يصيبها برص الخطية الروحي وتعتبر أمام الله مدنسة بصفة دائمة.



الفصل السابع والعشرون

إن كنت بدافع من رغبتك في الكمال قد هجرت جميع

الأشياء وتبعت المسيح الذي يقول لك: "اذهب وبع أملاكك أعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني"[٢٥]... لماذا بعد أن وضعت يدك على المحراث تنظر إلى الوراء، حتى يعلن الرب نفسه عنك أنك غير صالح لملكوت السموات؟[٢٦]... ولماذا بعد أن كنت آمنا على قمة سقف الإنجيل، نزلت إلى البيت لتحمل بعض ما فيه من تلك الأشياء التي سبق أن احتقرتها؟... ولماذا بعد أن خرجت إلى الحقل ورحت تشتغل بالفضائل عدت مسرعا وحاولت أن تلبس ثانية ثياب هذا العالم التي خلعتها عنك حين نبذته؟[٢٧]... ولكن إذ قد عاقك الفقر عن امتلاك شيء تتخلى عنه، فبالأحرى ينبغي ألا تكتنز ما لم يكن لك قط من قبل، لأنك بنعمة الرب كنت معدا لهذا الغرض كي ما تسارع إليه وأنت أكثر استعدادا مادامت لا تعوقك شباك الغنى. ليته لا يغتم إنسان ويفشل لأنه يعوزه شئ يتخلى عنه، لأنه ما من أحد إلا ولديه شيء يتخلى عنه.

لقد نبذ جميع مقتنيات هذا العالم، أي إنسان استأصل

---

[٢٥] مت١٩:٢١.

[٢٦] لو٩:٦٢

[٢٧] لو١٧:٣١

تماما من قلبه الرغبة في حيازتها وامتلاكها.



الفصل الثامن والعشرون

في أن الانتصار على الطمع لا يمكن تحقيقه إلا إذا جرد الإنسان نفسه من كل شيء

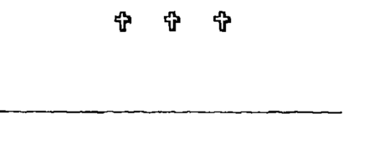
هذا إذن هو الانتصار التام على الطمع، لا نسمح لومضة من أصغر فضلاته أن تبقى في قلوبنا، إذ نعلم أنه لن يكون لدينا أية قدرة على إخماده إن احتفظنا في أعماقنا بأصغر شرارة منه.



الفصل التاسع والعشرون

كيف يستطيع راهب أن يحتفظ بفقره

نستطيع أن نحافظ على هذه الفضيلة دون مساس إذا مكثنا مقيمين في دير، وكما يقول الرسول: "فإن كان لنا قــوت وكســوة فلنكتف بهما"[٢٨].



[٢٨] اتي٦:٨

الفصل الثلاثون

طرق الوقاية من مرض الطمع

إذ نذكر دائما مصير حنانيا وسفيرة، لابد أن نجزع ونتحاشى استبقاء أيضا شيء مما تخلينا عنه ونذرنا أن نهجره. فلنتعظ من مثال جيحزي السيئ، فبسبب خطية الطمع عوقب بالبرص الدائم جزاء وفاقا. لهذا فلنحترس منن اقتفاء ثروة لم نمتلكها قط من قبل. أضف إلى هذا علينا أن نرهب سقطة يهوذا وموته، ومن ثمة نتجنب بكل قوانا استرداد أي جزء من تلك الثروة التي سبق أن تخلصنا منها, وفوق كل هذا، علينا ونحن نرقب طبيعتنا الضعيفة المتغيرة فنتحرر لئلا يأتي يوم الرب علينا كلص في الليل[٢٩] ويجد ضميرنا مدنسا ولو بقرش واحد، لان ذلك يحرمنا من كل ثمار نبذنا للعالم، ويوجه إلينا كلمات الرب للغني، التي جاءت في الإنجيل:"يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟!"[٣٠] وإذ لا نهتم بالغد علينا ألا نسمح قط لأنفسنا بإغوائنا عن قواعد التجرد والنسك.

---

[٢٩] ١تس٥:٤

[٣٠] لو١٢:٢٠

✞ ✞ ✞

الفصل الحادي والثلاثون

في أنه ما من أحد يستطيع أن يغلب الطمع
إلا إذا أقام في خلوة الدير، وكيف يستطيع الإقامة هناك

لكن من المؤكد انه لن يسمح لنا بهذا، أو حتـــــى بالبقـــاء تحت سلطة نظام، إلا إذا تأسست فينا أولا وتدعمت فضيلة الصـــبر والاحتمال، التي لا يمكن انبعاثها إلا من **التواضع** كمصدر لها، لأن الواحدة تعلمنا ألا نزعج أي شخص آخـــر، والأخـــرى تعلمنـــا ان نحتمل في سماحة واتساع صدر إهانات الآخرين لنا.